المكتبة العصرية.. تاريخ واشخاص

تم تأسيس هذه المكتبة سنة ١٩١٤ من قبل المرحوم محمود حلمي ، في مدينة بغداد ، ولكن بعد أن اطلعنا على دليل للمكتبة العصرية تبين أن تاريخ تأسيسها يعود إلى وقت ابعد من السنة المذكورة أعلاه ولكنها لم تكن في مدينة بغداد ، وأن مؤسس هذه المكتبة هو الشيخ محمد والد محمود حلمي صاحب (المكتبة الإسلامية أنشأها في كربلاء سنة ١٣٠٠هـ/ ١٨٨٢م ، كما هو مثبت في دليل المكتبة العصرية المطبوع سنة ١٣٤١هـ/ ١٩٢٢م في مطبعة السلام ، كذلك ختم المكتبة المثبت على كتاب نقد فلسفة داروين لمصنفها أبو المجد محمد رضا الاصفهاني المطبوع في مطبعة الولاية (بغداد) سنة ١٣٣١هـ/ ١٩١٢م ، وقد اطلعنا عليه مشكوراً الكتبي الأستاذ أياد القاموسي بتاريخ ١١/ ١٢/ ١٩٩٧م ، كذلك يوجد في خزانتنا كتاب (مختصر روض الرياحين في مناقب الصالحين لليافعي عليه ختم المكتبة الإسلامية أيضاً).

زيت النقشبندي

وقد عرف عن محمود حلمي بأنه كان الوكيل الوحيد لتوزيع أغلب المجلات المصرية في العراق، وكان يساعده في إدارة شؤون المكتبة شخص يهودي اسمه اسحق، وكان هذا الشخص لولب المكتبة ومحركها كما أكد لنا أكثر من شخص، وما كان يقال ويشاع في الثلاثينيات، أن رئيس الوزراء نوري السعيد كان صديق محمود حلمي، علماً أن تأسيس هذه المكتبة في بداية أمرها كان بجانب الباب الصغير لسوق الصياغ المرتبط بسوق السراي، ثم انتقلت إلى المحل الذي تقوم عليه حالياً مكتبة البعث لعواد عبد الرحمن، ثم انتقلت إلى المحل الذي تقوم عليه حالياً المكتبة الحديثة لبيع القرطاسية، ثم انتقلت إلى شارع المتنبي مقابل المخبز العسكري سابقاً ثم انتقلت إلى بناية المكتبة البغدادية، علماً أنها نقلت أولاً إلى مجمع الأدباء ثم إلى المحل المقابل للمكتبة قبل إغلاقها (أمام بناية وقف علو حبيب العامري حالياً).

وفي السنوات الأخيرة وبعد الأزمة المالية التي مر بها محمود حلمي باع المكتبة إلى الأديب البغدادي السيد صادق القاموسي (وهو شاعر موهوب ولد في مدينة النجف الاشرف سنة ١٩٢٢ وتوفي ١٩٨٨ للمزيد راجع حول ترجمته كتاب شعراء الغري لعلي الخاقاني، ج٩، وكتاب دراسات أدبية تأليف غالب الناهي)، لكنه بقي في الوقت نفسه يعمل أجيراً في مكتبته المباعة والشيء الذي يجب أن يقال أن الخلق الرفيع الذي تمتع به الأستاذ القاموسي دفعه إلى معاملة محمود حلمي معاملة خاصة، حيث خصص له أجراً شهرياً ولحين وفاته، وقد بيعت لهذه المكتبة كثير من المكتبات الخاصة لأدباء وعلماء عراقيين معروفين ومشهورين، منها مكتبة الزهاوي (جميل صدقي) حيث باعتها زوجته زكية وهي أخت مطلقة بكر صدقي الذي قاد أول انقلاب عسكري في العراق والوطن العربي كما ذكر لنا الأستاذ الرشودي (في مقابلة معه يوم الجمعة ١٩٩٧/١٢/٥ في مقهى التجار خلف المدرسة المستنصرية وبحضور عدد من جلاسه الفضلاء والأساتذة الإجلاء منهم الأستاذ المحامي عبد الجبار الهماوندي.).

بعد وفاته وكان فيها بعض الكتب النادرة التي حمل أغلبها كلمات الإهداء للأستاذ الزهاوي مع بعض الأوراق الخاصة به (الزهاوي) وقد أقتنى بعضها الأستاذ عبد الحميد الرشودي الذي نشرها وعلق عليها بعد ذلك في عدد من الصحف والمجلات، في حين أقتنى الأديب خضر العباسي كافة الصحف والمجلات

وكان في المكتبة العصرية مجلس يرتاده عدد من المثقفين والأدباء منهم (عباس العزاوي، والسيد عبد الرزاق الحسني، والأستاذ عبد المنعم الفلامي، وعبد المطلب الأمين، وطه الهاشمي، والعلامة الدكتور مصطفى جواد، والأستاذ الأديب احمد حامد الصراف ...وغيرهم من الشخصيات)، وقد ورد ذكر محمود حلمي في أوراق الأستاذ كامل الجادرجي المطبوعة، كما أن له صورة في دليل المملكة المصرية المطبوع سنة ١٩٢٩، وعلى كل حال فالمعلومات المتوفرة عنه تذكر أنه كان أنساناً نظامياً يساعد المحتاجين ويخصم من أسعار الكتب للذين لا تكفي نقودهم لشرائها، مثل الطلاب والباحثين كما كان حريصاً على عدم استيراد الكتب الممنوعة.

تاريخ
الدولة اليونانية
في
العراق
بقلم
علي ظريف الاعظمي
طبع بنفقة
صاحب المكتبة العصرية: في بغداد
(طبع في مطبعة دار السلام * بغداد)

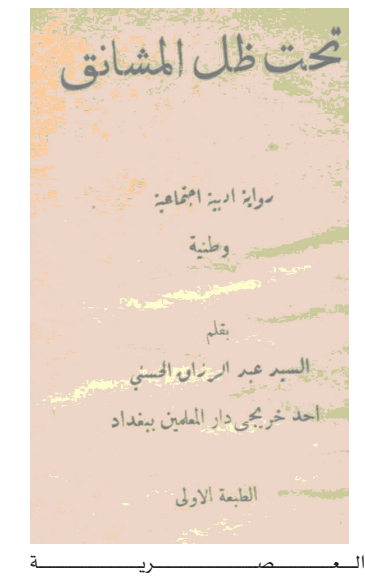

وقد ذكرت الكتبي قاسم محمد الرجب عن المكتبة العصرية

أما المكتبة العصرية فكان يجلس فيها عبد المجيد الهاشمي ومحمود فهمي درويش ومصطفى علي وعبد الرزاق الحسني وجلال الطائي، وليس هناك من حديث بينهم سواء ما يتعلق بتحقيق عمر محمود حلمي ومغامراته الحالية في غرام موهوم والقليل منهم يطالع الجرائد أو المجلات لا سيما محمود حلمي، أما نعمان الاعظمي فأنه كان يطالع مع أحد الإيرانيين جريدة فارسية بغية أن يتعلم الفارسية، وبالرغم من كثرة ما قرأ لم يتعلم سوى كلمات معدودات من تلك اللغة، وأقدم الكتبيين في السوق اثنان هما:- نعمان الاعظمي ومحمود حلمي (كان هناك أكثر من كتبي في سوق السراي قبل الاعظمي وحلمي ولا ندري لماذا لم يتطرق إلى ذكر أي شيء عن تلك المكتبات وهؤلاء الكتبيين قاسم محمد الرجب في مذكراته المطبوعة والمخطوطة)، وهذا الأخير بالرغم من قدمه في السوق لم ينل حظاً من المعرفة بالكتب والمكتبات فهو لا يذكر سوى الكتاب الذي أمامه ولم يحسن النطق حتى باسم الكتاب على الوجه الصحيح وبقى محدوداً في كل شيء مع أنه كان يعتبر الوحيد بين باعة الكتب في استيراده الكتب الحديثة والمجلات، وكنت أتردد عليه وألاحظ ما حوته مكتبته من الكتب القيمة وكنت أتمنى أن أحصل على بعض منها، فدخلت عنده عدة مرات فاخترت كثيراً مما طبع في أوربا، وكانت مكدسة حتى بلي بعضها وأراد التخلص منها فباعها لي (سني ملوك الأرض والأنبياء لحمزة الأصفهاني من مطبوعات برلين وهو نادر جداً سعر النسخة خمسون فلساً) مع أني شحنته إلى أوربا بأجمعه وبعت النسخة بدينار، وكانت فهارس المكتبات الأوربية كافة تخلو من ذكر هذا الكتاب لندرته، وسبق لمحمود حلمي أن سافر إلى مصر أيام الحرب العالمية الثانية وأقتنى بعض المكتبات الخاصة ومنها مكتبة محمود تيمور، فلما وصلت كتبها إلى بغداد دعاني شريكه وطلب إلي فرز الأجزاء وتسعير الكتب، وكان يدفع لي مبلغاً محترماً، ولا يزال محمود (هذا الكلام عندما كان محمود حلمي حياً في ستينيات القرن الماضي) لم ينل شيئاً من المعرفة بالكتب مع أن له من حسن المعاملة ما لا يجاريه أحد لا سيما في تسديد الديون فأنه مثال الاستقامة، ومن المؤسف أن ظرفاً قاسياً انتابه مؤخراً فأدى به إلى انتكاسه مالية أدت إلى رفع أسمه من لوحة المكتبة التي خدمها خمسة وأربعين سنة في الأقل (كان ذلك عام ١٩٦٤م)، وله نوادر كثيرة في المكتبة نعرض عن ذكرها الآن.

وكان اسحق أبو نسيم وشريك محمود حلمي (أكد لنا أبنه توفيق الكتبي صاحب مكتبة الأمل أنه لا يوجد أي شريك لحلمي أما المشار أليه فهو مدير توزيع فقط علماً أن والده محمود حلمي كان قد طرده لأنه أكتشف أنه كان يسرقه) يحافظ على مركزه التجاري في استيراد الكتب والمجلات فلا يدع مجالاً لأحد أن يستوردها، وكانت بعض المجلات القليلة الانتشار مثلاً لا يستوردها لتفاهتها وضعف توزيعها، فتلتجئ تلك المجلة إلى موزع آخر، وحين تصل إلى هذا الموزع فأن اسحق يسرع إلى أخبار إدارة المجلة بأنه مستعد لتوزيعها ويطلبها بالطائرة وبأعداد مضاعفة ويغرق السوق بها، فيضطر الموزع السابق الى أن يكتب إلى إدارة المجلة برفض توزيعها طالما وصلت إلى محمود حلمي بالطائرة قبل أن تصل أليه بالسيارة، ويستمر أبو نسيم على هذا المنوال شهراً أو شهرين، وبعدها يطلب إلى إدارة المجلة أن تقطع إرسالها أليه، وبهذا كان يسيطر على السوق سيطرة تامة ولا يدع رأساً من تجار الكتب والمجلات يرتفع غير رأسه، وقد جمع هو (وشريكه) محمود حلمي ثروة كبيرة أحتفظ هو بما أصابه منها لتفكيره النير (أخبرنا الكتبي توفيق محمود حلمي ان أبا نسيم اسحق الذي ترك حلمي وسافر إلى لندن بعد أن حول جميع المبالغ التي سرقها من محمود حلمي باسم زوجته فكتوريا إلى لندن، وعندما التحق بها في وقت لاحق وجدها قد تزوجت، وكل النقود التي حولها أخذتها، وعلى أثرها سافر إلى تركيا وتوفي بها) واتزانه، وبعد نظره، وطارت من الثاني لعدم تدبيره، ولاشتغاله بأعمال أخرى لا تمت إلى الكتب بصلة، ولو كان اسحق معلم نسيم لا يزال موجوداً لما صارت حال أبي عباس إلى ما هي عليه الآن، فقد كان اسحق ذكياً عاقلاً مخلصاً بالرغم من أن محمود حلمي يشيع عنه أنه هو السبب في تأخره وتدهوره، ويعرف كل من عاصرهما وأتصل بهما، أن محمود حلمي صار يتدهور شيئاً فشيئاً بعد أن ترك اسحق العمل معه وغادر العراق، ولن أنسى يوم عزم اسحق على السفر إلى خارج العراق، فقد مر على أصحاب المكتبات خاصة وعلى أهل السوق عامة يوصيهم بمحمود حلمي خيراً، وكان متأثراً غاية التأثر، بيد أن اسحق كان كغيره من أصحاب المكتبات جاهلاً لا يفهم من أمور الكتب شيئاً ولم يتعود المطالعة مطلقاً، وهذا بخلاف مجلسه البيتي الذي كان يضم صفوة مختارة من الأدباء اليهود والمسلمين والنصارى، وكان يعود الفضل في تهيئة هذا المجلس ونجاحه إلى زوجته المثقفة التي عرفت بذكائها وأدبها، وكان يحضر هذا المجلس كاتب بارع وأديب لامع تسلم كرسي الوزارة في عهد عبد الكريم قاسم (اعتقد ان المقصود هو الأستاذ مصطفى علي.)

ومن طريف الأمور يومذاك أن كثيراً من اليهود كانوا يتاجرون بالمصاحف ولوحات الآيات القرآنية ومن أولئك أذكر الياهور دنكور، واسحق معلم أبو نسيم (للمزيد راجع مجلة المكتبة التي يصدرها الرجب) وكان ذكياً في التجارة دون أن يفهم شيئاً من أمر الكتب، ولم أجد بين الكتبيين في تلك الآونة من كان يعرف الكتاب أو يدرك منزلته، ومن تلك المفكرات (المفكرة العصرية) وكان يصدرها محمود حلمي، أما تقويم الحائط الذي يعرف بالروزنامة فلم يكن هنالك شيء من ذلك، ما عدا التقويم العربي الهاشمي الذي تصدره المكتبة الهاشمية بدمشق فلم يكن يروج غير هذا التقويم أو يزاحمه مهما بلغ من جمال المظهر والإخراج، فالتقويم الهاشمي أقدمها، وبه في كل يوم من الطرائف والحكم والأمثال والضبط ما لا يجاريه أي تقويم آخر، وقد كان لواء الموصل لا يباع فيه غير هذا التقويم وكذلك السليمانية، ولا يزال يصل العراق إلى يومنا هذا حتى ظهرت تقاويم أخرى ببغداد، فمنعت الحكومة استيراده لحماية التقاويم التي تطبع في العراق، أما الاجندات فلم تكن معروفة لذلك لم تنتشر بين الناس في بغداد.

محمود حلمي يتذكر

في لقاء صحفي أجرته بعض المجلات مع الكتبي محمود حلمي مؤسس المكتبة العصرية:-

قال: عندما أعلنت الحرب العالمية الثانية وأرتفع سعر الورق ارتفاعاً فاحشاً سافرت إلى القاهرة ومن هناك شحنت (٥٠٠) دورة من كتاب (معجم الأدباء) لياقوت الحموي لتباع الدورة الواحدة التي تحوي (٢٠) جزءاً بدينار واحد، وعندما عدت إلى بغداد وجدت هذه النسخ مفقودة فسألت وكيلي وكان يهودياً أسمه اسحق أين دورات معجم الأدباء؟

قال: بعتها

فقلت: غير معقول لأن بيعها يحتاج في الأقل خمس سنوات.

قال: بعتها وهاك الثمن.

فقلت: ماذا (١٥٠٠) دينار؟

قال: نعم بعتها في الشورجة بالميزان كل دورة بثلاثة دنانير صفقة واحدة بدلاً من أن ننتظر (خمس سنوات) لكي أبيعها بـ(٥٠٠) دينار، وهكذا ذهبت (٥٠٠) دورة من هذا الكتاب التراثي النادر بواسطة هذا التاجر اليهودي إلى سوق الشورجة لتصبح أعقاباً للسكائر كما يقول إمبراطور سوق السراي (لقب أطلقه عليه صغار باعة الكتب) لأنه كان يتحكم بمصائرهم ولأنه المسيطر الوحيد على تجارة الكتب واستيرادها وبيعها كما كان المستورد الوحيد للمجلات والصحف المصرية والعربية حينذاك.

التدفئة والتبريد في بغداد القديمة

كانَ التبريد والتدفئة يتمان بطريقة بدائية بسيطة فمراوح الخوص اي المهافيف اليدوية شائعة الاستعمال لرخص ثمنها وتوفرها اذ تصنع محليا واكثر الناس مهارة في صنعها هم سكنة محلة القاهرة من الباب الشرقي خلف قهوة شكر مع مهاراتهم في صنع المكانس وبقية اعمال الخوص، واستعملت المهافيف السقفية للمحلات العامة او التجارية او الحكومية او البيوت الكبيرة ذات الخدم، ويختلف حجمها نسبة الى المساحة التي تتمكن المروحة من نشر هوائها فيها وعلى ساحب المراوح، اما ان يجلس داخل المحل من فتحة في الجدار او الباب، ولابد ان يكون قماش المروحة من النوع السميك ليتحمل تيارات الهواء اولا ويتحمل ثقل الحصى الموجود في ذيل المروحة لضبط الموازنة وتناسق الثقل ثانيا ولسحب المروحة اصول وقواعد ويحتاج الى مهارة وتمرين لجعل توافق قمة المروحة الثابتة في خشبتها مع قاعدتها من القماش. فالسحب السريع يمزقها والبطيء لا فائدة منه وفي بعض المحلات التي تبذل من المال او بعض الدوائر الحكومية يستعملون شبابيك العاقول ويرشونه بالماء بين وقت واخر مع الحرص على ان يكون الشباك مواجها تيار الهواء الشمالي او الغربي وحين توفر الماء بالاسالة الحكومية مدت انابيب المياه في قمة بشباك العاقول مع عمل عدة ثقوب في الانبوب ليتساقط الماء باستمرار على العاقول، وبهذا يكون رطبا دائما. وفي البيوت كان السرداب الواسطة الوحيد للتبريد نهارا والسطح في الصيف ليلا. وتستعمل سلال الخوص الكبيرة غطاء لما تبقي من العشاء الى اليوم الثاني حيث يؤكل (بايت) وخصوصا الباجة البايتة والمحبوبة عند اكثر البغادده. ويوضع الماء في التنك الطينية الخضراوية التي توضع على (التيغة) ليبردها الهواء وتغطى بغطاء من الخوص او بقماش خفيف من الململ منعا لوقوع الحشرات فيها وفي النهار فان (الحب) و(البواكة) تحته كفيلان بتبريد الماء خصوصا اذا كان الحب بعيدا عن اشعه الشمس لكن الاغنياء كانوا يشترون الثلج الذي يباع بالوزن وباقي الناس لا يستعملون الثلج الا في شهر رمضان حين يسمعون البائع ينادي (الليلة وغرة ياثلج بوظ) وبوظ كلمة تركية معناها ثلج، وكان بائعو الثلج يغلفونه بالتبن كي لايذوب سريعا، وكان الناس يذهبون الى محلة خضر الياس حيث تؤخذ المياه الباردة من بئر في احد البيوت، ويسمى (ماء النبعة) واعذب الآبار كانت مجاورة لبيت الخواجا في خضر الياس وقبل توفر الكهرباء .تمكن الصناع العراقيون من صنع مراوح تدار باليد بواسطة صندوق حديدي ولاسيما في معمل عبد علي الهندي، ثم انتشرت في البيوت وبانتشار الكهرباء ترك عمل هذه المراوح، واستعيض عنها بالكهربائية. اما صناديق الثلج الخشبية فقد بدأ استعمالها في الثلاثينيات، وصارت تحفظ فيها المأكولات والفوكه بعضها فوق بعض.

محلات بغدادية

بـــاب الآغـــا

محلة باب الأغا: عرفتْ هذه المحلة بباب الأغا باسم من نزلها وهما محمد أغا وأحمد أغا الشابندريان.. وحيث ان أحمد المذكور توظف في الكمارك، أعطي هذا اللقب، وقيل بما ان دار الحكومة وسراياها وجماعة البنجرية والحبوس كانت في هذه المحلة، ولذا عرفت بهذا الاسم.

وكان من البيوت المشهورة في هذه المحلة بيت السهروردي عبدالرحمن وبيت أزهير وباب الاغا بيت كاظم أغا وبيت عبدالقادر أغا وبيت السيد يحيى وبيت الشابندر.

وبقيت هذه المحلة عامرة بأهلها حتى حدود سنة ١٢٥٠هـ/ ١٨٣٤م ثم تفرقت.

قنبر علي: هو أبو طالب نصر الملقب بـ (قنبر بن علي الناقد).. وكان أبو طالب هذا قد ولى الحجابة للخليفة المستضيء بأمر الله سنة ٥٧١ هجرية/ ١١٧٥ ميلادية، وكان يلقب في صغره (قنبراً)، فصار الناس يسمونه به. ولما أنهى أمره الى الخليفة، أمر ان يركب معه جماعة من الأتراك ويمنعون الناس من ذلك فامتنعوا. فلما كان قبيل العيد وخلع عليه الخليفة ليركب في موكبه، غير ان جماعة من أهل بغداد اشتروا شيئاً كثيراً من (القنابر) وعزموا على ارسالها في الموكب اذا رأوا (ابن الناقد).. فأنهى ذلك الى الخليفة وقيل له يملأ الموكب ضحكاً، فعزله، وولى ابن المعوج حاجباً. ولما توفى دفن في مقبرة (باب أبرز) وبتوالي الأيام حرّف من كلمة أبي طالب نصر قنبر بن علي الى كلمة (قنبر علي) خطأ أو توهيماً على البسطاء قصد الارتزاق.

تسمية الديوانية من اين جاءت؟

لايزالُ العراقيون يطلقون (الديوانية) على الغرفة التي تخصص لاستقبال الزائرين والضيوف ومدينة الديوانية في الاصل دار ضيافة انشأها رؤساء (الخزاعل) ايام حمود الحمد الذي ابتدأت رئاسته نحو سنة ١٧٤٧ ميلادية ليقيم فيها كاتبهم الذي يعهدون اليه امور الجباية ولينزلها ضيوفهم الذين كانوا يترددون عليهم ثم صار الناس ينشئون حولها الصرائف فالاكواخ فالبيوت وبقيت في توسع مستمر ولما اخذ النفوذ القبائلي يتضاءل عنيت بها الحكومة فجعلتها مركز قضاء في سنة ١٨٥٨ ميلادية حتى بلغ عدد سكانها نحو عشرين الفا.

وقد تقدمت الديوانية في العهد الملكي وتحسنت احوالها الاقتصادية وبموجب احصاء النفوس العام لسنة ١٩٥٧ بلغ عدد نفوس اللواء ٥٠٧,٢٠٣ نسمة في حين كان ٣٧٩,٠٠٠ بموجب سنة ١٩٤٧,

يقع لواء الديوانية في القسم الاوسط من العراق وهو من الالوية الزراعية وتبلغ مساحة الاراضي التي تزرع فيه ٨٣٠,٥١١ دونما والتي تزرع بالواسطة ٢,٢١٢ دونما والتي تزرع ديما ٩٥,٧٩٣ دونما وكان انتاج اللواء من الحنطة لموسم ١٩٥٧، ٣٧,٣٩٨ طنا ومن الشعير ٥١,٨٦٥ طنا ومن الباقلاء ٢٦٤ طنا.. اما المزروعات الصيفية للموسم المذكور فقد بلغت ٤٠,٦٨٢ طنا من الشلب و ٤٦٨ طنا من السمسم و١٤٣ طنا من القطن ومن المؤمل ان تزداد مساحة الاراضي التي تزرع قطنا فتصل الى ١٢٠ الف دونم بعد ان لمس الزراع الفوائد من زراعته وتعلموا طرق زراعته وحمايته من الآفات.

منـــارة ســـوق الغـــزل مـــدرســـة للـبـنـــات!

قاسم عبد الهادي

كان المرحوم الشاعر جميل صدقي الزهاوي عضواً في مجلس معارف بغداد اواخر العهد العثماني وعندما اثير موضوع فتح مدرسة للاناث في بغداد جرى النقاش في المجلس وجرت مناقشات حامية بشأن مواصفات البناية التي تصلح مكاناً لهذه المدرسة واستقر رأيهم على الشروط التالية:,١ ان تكون البناية ليس فيها شبابيك على الشارع.

,٢ ان لا تكون الدور المجاورة لها متسلطة عليها.

,٣ ان لا تكون في الدور المجاورة لها اشجار عالية من النخيل اوالنبك.

وبينما الاعضاء والباشا رئيس المجلس يفكرون في هذا الامر طلب الزهاوي الكلام وقال: لقد وجدت هذا المكان فانه في الواقع تنطبق عليه هذه الاوصاف تماماً قالوا: واين هو..؟ قال: انها منارة سوق الغزل فلما سمعوا ذلك ضحكوا وظلت طرفة الزهاوي هذه مدار الحديث عبر الزمن..